المبحث الخامس

أثر الاعتقاد في أن الله ﷻ هو الكريم

المعني اللغوي :

هو الجواد المعطى الذى لا ينفد عطاؤه .

المعنى المستخلص من القرآن الكريم :

فيما يلي عرض موجز لهذه الصفة كما جاء ذكرها في كتاب الله ﷻ ، ثم تناول أثرها الاقتصادى.

«الله ﷻ هو الكريم ذو الجلال والإكرام .. تفضل على عباده بكرمه .. فكرم الإنسان، ورزقه رزقاً كريماً، وأمر سبحانه وتعالى عباده بالتمثل بتلك الصفة على نحو ما يليق ببشريتهم .

وجعل سبحانه وتعالى أكرم الناس عند الله أتقاهم ، وقد يبتلى بعضا من عباده بإكرامهم».

الأبعاد العقدية :

فيما يلي عرض الأبعاد العقدية المستخلصة من الوصف السابق ، إذ يعتقد المسلم إزاء تلك الصفة بالأبعاد العقدية التالية :

١ ـ الله الكريم .

٢ ـ تفضل على عباده بكرمه .. فكرم الإنسان .

٣ـ الله سبحانه وتعالى قد يكرم عباده ابتلاء لهم.

٤ـ الله ﷻ تفضل بالرزق الكريم .

٥ـ وعد سبحانه وتعالى بإكرام المنفقين في سبل الخير .

٦ـ أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتمثل بصفة الكرم على ما يليق ببشريتهم ، وتوعد من خالفها .

٧ـ جعل الله سبحانه وتعالى أكرم الناس أتقاهم .

دليل القرآن الكريم لكل بعد عقدي وبيان أثره الاقتصادي :

البعد العقدى :

١ ـ الله الكريم

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[المؤمنون: ١١٦]

الأكرم

﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾[العلق: ٣].

ذو الجلال والإكرام

﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[الرحمن: ٧٨].

٢ ـ تفضل على عباده بكرمه .. فكرم الإنسان

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء: ٧٠].

الأثر الاقتصادي:

تم عرضه تفصيلا في الباب الثالث لدى تناول مراعاة الكرامة الإنسانية في العمل والإنتاج.

البعد العقدى :

٣ ـ الله سبحانه وتعالى قد يكرم عباده ابتلاء لهم

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾[الفجر: ١٥-١٦]

الأثر الاقتصادي:

النعمة ووفرة الرزق عادة ما تكون مصاحبة للغفلة ، وأحيانا للغرور .

واستقبال النعمة على أنها ابتلاء بالخير ، يجعل التصرف الاقتصادي للمسلم حريصا على الرشد الإيماني في تحصيله لأسباب تلك النعمة وفى التصرف فيها على نحو ما يرضى الله ﷻ ،

وبذلك الرشد الإيماني والحرص على المشروعية ، يحتفظ المجتمع بثروته بعيداً عن كل مظاهر التبديد غير المشروع.

كما أن التعامل مع النعمة بمنطق الابتلاء ، يحول دون سيطرة الفخر والكبر والعجب على صاحبها ، ويجعله حريصاً في تصرفاته المالية ألا ينجرف إلى إسراف أو تبذير أو ترف.

ونتيجة لذلك تنحسر المظاهر الاقتصادية التى تشكل توجيها للثروة في غير ما خلقت له من أساسيات الحياة، ولا يكون هناك استفزاز استهلاكي من جانب الطبقات الغنية تجاه الطبقات الفقيرة.

البعد العقدى:

٤ ـ الله ﷻ تفضل بالرزق الكريم :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾[الشعراء: ٧]

الأثر الاقتصادي :

ملازمة التعبير بالكرم لما أنبت الله ﷻ في الأرض من زرع ، يرتب يقيناً واثقاً بأن التكاثر النوعي في الثروة الحيوانية والزراعية ، لن يشكل أزمة في الموارد .. إلا أن يشاء الله شيئاً .. ابتلاء لعباده .

واللافت هنا أن التكاثر النوعي في الأنعام والنباتات يقابل التكاثر النوعي في البشر ، بل يفوق عليه ، ومن ثم لا وزن للتخوف المتشائم من أن يكون النسل عبئاً على الموارد.

وإسباغ صفة الكرم على الزرع، وإطلاق صفة الجنة على الحدائق، يجعل التعامل مع الثروة الزراعية يحتل وضعاً متميزاً وأهمية خاصة فى ترتيب أوجه النشاط الاقتصادي.

والتاريخ الإقتصادي المعاصر يوضح المعاناة التى كابدتها بعض الشعوب التى أهملت ثروتها الزراعية على إثر الانبهار بالثروة الصناعية.

ومن جانب آخر .. فإن الثروة الزراعية تحتل أهمية استراتيجية في المحافظة على الكيان القومي في مواجهة أى اعتداء خارجي قد يصادر قدرة الأمة على مبادلة صادراتها الصناعية.

حيث تتولى الثورة الزراعية الإشباع المباشر للحاجات الإنسانية دون انتظار لمبادلتها كما هو الشأن في الصادرات الصناعية التي كثيراً ما تواجه منافسة شرسة ، واحتكاراً عالمياً، ومصاعب جمركية .. إلى غير ذلك .

البعد العقدى :

٥ ـ وعد سبحانه وتعالى بإكرام المنفقين في سبل الخير .. فقال :

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[الحديد: ١٨].

٦ ـ أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتمثل بصفة الكرم على ما يليق ببشريتهم ، وتوعد من خالفها بقوله:

﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾[الفجر: ١٧-٢٦].

الأثر الاقتصادي :

١ ـ الندرة أحيانا قد تكون كوارث أوجوائح قدريه أو أزمات لا إرادية، ابتلاء من الله ﷻ لحكمة يعلمها أونتيجة تقاعس الإنسان عن فضائل الخصال الاقتصادية في التوزيع .. كعدم إكرام اليتامى ومنع إطعام المساكين .

٢ ـ الربط الإسلامي بين خاصية الكرم الإنساني التى يتشوف إليها الجميع ، وبين تصريف طاقة الكرم إلى اليتامى والمساكين، ينعكس أثره في زيادة التحويلات المالية من الطبقات الفقيرة إلى الطبقات الغنية، ومن ثم تحقيق الآثار الاقتصادية من إعادة لتوزيع الدخل القومي وتحريك الطلب الفعال للسلع الرئيسية، نتيجة ارتفاع الميل الحدى للاستهلاك لدى الطبقات الفقيرة، والحد من الآثار السلبية لتراكم الثروة والإنفاق الترفى من جانب الأغنياء .

٣ ـ التنبه إلى حفظ مال الناس وعدم أكل حقوقهم ، يسبغ أمناً اقتصادياً فى المعاملات ويحقق الثقة المتبادلة ، ويخفف من القيود التى تعوق النمو .

البعد العقدى :

٧ ـ جعل الله سبحانه وتعالى أكرم الناس أتقاهم .. فقال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحجرات: ١٣]

الأثر الاقتصادي :

التقوى هى أساس التفاضل الاجتماعي ، وتفاوت الأرزاق لا دخل لبشر فيه ، وإنما هو ابتلاء لحكمة أرادها ، وضرورة اجتماعية واقتصادية لتشكيل الهرم الاجتماعي، ولا تفاضل على أساس مركز مالي .. كالرأسمالية .. أو انتماء حزبي أو طبقي .

وقيام التفضيل الاجتماعي على أساس التقوى وفضائل الأعمال ، يؤدى إلى تحقيق عدة نتائج اقتصادية .. أهمها:

١ ـ نزع العوامل النفسية المؤدية إلى الصراع الطبقي وما ترتبه من دمار اقتصادى واجتماعى.

٢ ـ التنافس على أساس الفضائل الإيمانية والأخلاقية، يعلى من قيمة الأداء الإنتاجي من حيث الإحسان في الأداء والدقة والانضباط.

٣ ـ إعلاء النظرة الإنسانية للفضيلة فوق الاعتبارات المادية ، يؤدى بالأغنياء إلى التسامى فوق المظاهر المادية المعبرة عن الكبر والفخر والعجب والتى تنعكس أثارها سلباً في الإسراف وسوء استثمار بعض من الثروة القومية في سلع الترفيه.

هذا .. وقد تناول مبحث «موقف الإسلام من تفاوت الدخل» التعرض تفصيلاً لأثر ذلك الجانب.